

العمارة الدينية المسيحية القديمة من خلال الرمزية المجسدة في العناصر المعمارية المعروضة في المتاحف الجزائرية

Ancient christian religious architecture through symbolism embodied in architectural elements exhibited in Algerian museums

ط. م. / قوشام مريم

معهد الآثار - جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: gouchammeriem1999@gmail.com

أ.د. / حاجي ياسين رايح

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)، معهد الآثار - جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: yacine.rabah.hadji@univ-alger2.dz

الملخص:

تميّزت الفترة القديمة بتعدد أنواع وأشكال العمارة بحيث نُمط كل نوع منها حسب الوظيفة التي كان يؤديها، من أهمها العمارة الدينية في الفترة المسيحية التي عُرِفَت بالبازيليكات المسيحية ولعل ما يميزها هي الزخرفة التي تحملها، فنجد الزخارف أو الرموز المسيحية مجسدة على العناصر المعمارية المشكلة للمبنى مما يعطيه جانب جمالي وآخر ديني يعبر عن الدين وكل هذا من خلال الرمز الذي نجده في هذا النوع من العمارة.

وفي هذا السياق اخترنا مجموعة من العناصر المعمارية جسدت فيها الرمزية المسيحية والتي نجدها معروضة في كل من المتحف الوطني للآثار القديمة، ومتحف سيرتا الوطني، ومتحف موقع جميلة الأثري.

الكلمات المفتاحية: العمارة الدينية المسيحية؛ البازيليكات المسيحية؛ العناصر المعمارية؛ الرمزية المسيحية.

Abstract :

The ancient period was characterized by a variety of types and forms of architecture, each of which was structured according to the function it was performing. The most important of thesis the religious architecture of the Christian period, which is known as the Paleochristian basilica. We find Christian ornaments or symbols embodied in the architectural elements of the building, giving it an aesthetic aspect and a religious aspect that expresses religion, all through the symbol we find in this kind of architecture.

In this context we have selected a collection of architectural elements in which the Paleochristian symbolism is embodied and which we find on display in both the National Museum of Ancient Antiquities, the National Museum of Cirta, and the Museum of the Djemila Archaeological Site.

Key words: Paleochristian religious architecture; Christian basilicas; architectural elements; Paleochristian symbolism.

مقدمة:

عرفت الجزائر في الفترة القديمة تعاقب العديد من الحضارات، ولعلّ ما يميّز كلّ حضارة عن الأخرى هو ما خلفته لنا اليوم من شواهد مادية عبارة عن مواقع أثرية كانت في الماضي مباني مختلفة ومتنوعة، فقد تميزت العمارة قديما من ناحية أنواعها وأنماطها، بحيث كل نمط شُيّد لتأدية غاية ووظيفة معينة، نجد المباني ذات الوظيفة الترفيهية، ومنشآت ذات وظيفة دينية كالكابيتول والمعابد في الفترة ما قبل المسيحية القديمة "الفترة الوثنية"، وفي الفترة المسيحية القديمة ظهر نوع آخر وجديد من المباني الدينية، الذي كان يتناسب مع الدين المسيحي أشهره "البازيليكات المسيحية"، التي كانت تمارس فيها الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بالمسيحيين.

إن أهم ما يميز العمارة الدينية في الفترة المسيحية القديمة، هو الزخرفة التي تجسدت على العناصر المعمارية المشكلة للمبنى، نجدها اليوم إما في نفس المكان الذي اكتشفت فيه، ومنها ما تم نقله إلى المتاحف لغرض الحفاظ عليها. ولهذا سنتطرق في هذا البحث إلى دراسة مجموعة من العناصر المعمارية المعروضة في بعض المتاحف الجزائرية، وهي: المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، ومتحف سيرتا الوطني، ومتحف موقع جميلة الأثري.

يهدف هذا البحث إلى دراسة العناصر المعمارية من ناحية تنميطها وتأريخها حسب الفترة الزمنية التي تنسب إليها، وتحديد الوظيفة التي كانت تؤديها في المبنى، والسؤال المطروح هو: هل كان لهذه الرموز المجسدة في العناصر المعمارية دور ديني ليتورجي يخدم الدين المسيحي القديم؟ أو كان لها دور جمالي زخرفي؟

1- تقديم المجموعة:

تتنمي العناصر المدروسة إلى مجموعة يصل عددها الإجمالي إلى 39 عنصر معماري، والمعروضة في كل من المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، ومتحف سيرتا الوطني، ومتحف موقع جميلة الأثري¹.

يحتوي المتحف الوطني للآثار القديمة² في الجزائر العاصمة 22 عنصرا معماريا يحمل زخارف مسيحية قديمة موزعة داخل القاعة المسيحية³، وعنصرين محفوظين في مخزن المتحف. اكتشفت هذه العناصر في مواقع مختلفة أغلبها مباني عبارة عن بازليكات مسيحية.

¹ - استلت المادة الخام من مذكرة ماستر "قوشام مريم"، أما ما موجود في المقال هو التطرق إلى دراسة الرمزية المجسدة في العناصر المعمارية.

² - إحداثياته الجغرافية: 3.046041° 36.761538°

³ - قوشام، مريم، 2022م-2023م، ص ص. 10-11.

أما متحف سيرتا الوطني⁴ فيحوي على 10 عناصر تجسدت عليها زخارف مسيحية قديمة موزعة في القاعة المسيحية، وفي الطابق العلوي برواق الفسيفساء المثبتة على الحائط وفي الحديقة الإبيغرافية⁵، منها ما اكتشف في حفريات بارتي في البازيليكا المسيحية⁶، ومنها غير معروف مكان اكتشافه. أما فيما يخص متحف موقع جميلة الأثري⁷ فهو يحوي 07 عناصر معمارية منها 06 موزعة في حديقة المتحف، وقاعدة معروضة في القاعة الثالثة للمتحف⁸، منها ما تم اكتشافه في موقع جميلة عامة، ومنها ما اكتشف بالبازيليكا الجنوبية، وأخرى اكتشفت في الحي الشرقي لمدينة جميلة.

2- مكان اكتشافها:

يعود مكان اكتشاف العناصر المعمارية التي تحمل مشاهد دينية مسيحية قديمة إلى مواقع أثرية مختلفة، فمن بين 22 عنصر معماري معروض في المتحف الوطني للآثار القديمة منها 16 عنصرا معماريا، عثر عليه في مباني ذات وظيفة دينية تتمثل في البازيليكا المسيحية، لدينا 06 عناصر تم العثور عليها في بازيليك هنشير زارة بأم البواقي⁹، و05 عناصر اكتشفت في بازيليك هنشير أخرب بولاية باتنة¹⁰، ولدينا أيضا 03 عناصر عثر عليها في حنية البازيليكا الأولى بموقع مورسط بتبسة¹¹، وبالإضافة كذلك إلى عنصر عثر عليه في شريعة بتبسة¹²، والعنصر الأخير اكتشف في بازيليك أولاد عقلة ببرج بوعريج¹³. وعناصر أخرى معروضة في متحف موقع جميلة الأثري يصل عددها إلى 07 عناصر معمارية تحمل مشاهد، وجدت في الموقع عامة وفي سرداب البازيليكا الجنوبية "بازيليكا كريسكونيوس"¹⁴، وفي الحي الشرقي لمدينة جميلة شمال واد بيطام¹⁵. وعناصر أخرى معروضة في متحف سيرتا الوطني يصل عددها إلى 03 تحمل زخارف لم نتمكن من معرفة مكان اكتشافها إذ قمنا بالبحث في كتالوج المتحف، وكذا المراجع التي تحدثت عن هذه اللقى لكنها لم تتطرق إلى ذكر المكان الذي وجدت فيه، وبالتالي بقيت غير معروفة مكان الاكتشاف.

4- إحداثياته الجغرافية: 6.607113° 36.362860°

5- قوشام، مريم، 2022م-2023م، ص. 11.

6- BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., 1942.

7- إحداثياته الجغرافية: 5.736169° 36.316974°

8- قوشام، مريم، 2022م-2023م، ص. 10.

9- حاجي، ياسين رابح، 2008م-2009م، ص. 171.

10- نفسه، ص. 226.

11- نفسه، ص. 221.

12- LANCEL, S., 2003, p. 227.

13- GSELL, S., 1901, p. 244.

14- FEVRIER, P-A., 1962-1965, pp. 222-224.

15- BALLU, A., 1914, pp. 307-308.

3- طريقة العمل:

بالنسبة لعرض وتنميط العناصر المعمارية وترتيبها فقد كان حسب الكم أي اتبعنا العد التنازلي كمنهجية من أكبر عدد من كل نمط إلى أصغره، فقد تطرقنا في البداية إلى التيجان بأنماطها الأربعة وهي: التيجان الكورنثية، ثم التيجان الأيونية، ثم تيجان الدعامات، ثم التيجان البسيطة، ويأتي بعد نمط التيجان الوصلات الحاملة، وأخيرا القواعد.

4- تنميطها:

تنتهي مجموعة الدراسة إلى أربعة أنماط تؤرخ من القرن الرابع ميلادي إلى النصف الثاني من القرن السادس ميلادي، إلا أن العناصر المعمارية التي سنتطرق إليها، والتي تحمل المشاهد الدينية بأنواعها تنتمي إلى ثلاثة أنماط، وعددها 26 عنصرا معماريا، وهي كالآتي:

4-1- التيجان:

تنتهي تيجان الدراسة إلى أنماط مختلفة ومتنوعة من حيث الشكل والوظيفة، فقد سجلنا في هذه المجموعة أربعة أنماط وهي كالآتي:

أ. التيجان الكورنثية:



الصورة 01: يمثل التاج 153، عن: قوشام، مريم، 2023م.

عددها 1606¹⁶، نجدها في المتحف الوطني للآثار القديمة، منها 05 موجودة في الجناح القديم في القاعة المسيحية، وتاج محفوظ في مخزن المتحف. يتميز هذا النوع بوجود صفين من الأوراق موضوعة بطريقة منتظمة ومتتالية كما للتاج أربع واجهات متشابهة¹⁷، تتكون التيجان من ثلاثة صفوف الصفين الأول والثاني متكونان من أوراق الأكنثة لها أشكال مختلفة، وعلى الأغلب عددها ثمانية وملساء ذات حواف مقلوبة للأسفل، أما الصف الثالث يختلف من تاج إلى آخر، بحيث يحتوي في مركزه على زخرفة معينة، ففي كل تاج نجد زخرفة وسطية تختلف عن الأخرى (**الصورة 01**)، وفي كل جانب للتاج نجد أوراق الأكنثة أو زخرفة أخرى. يعود تأريخ هذه التيجان إلى القرن الخامس الميلادي.



الصورة 02: يمثل التاج 119، عن: قوشام، مريم، 2023م.

¹⁶ وهي كالآتي: 149 و 150 و 151 و 152 و 153 و 154. يراجع: قوشام، مريم، 2022م-2023م، الفصل الأول: الكتالوج.

¹⁷ GINOUVES, R., 1992, p. 93.-

ب. التيجان الأيونية:

عددها 03، نجدها في متحف موقع جميلة الأثري معروضة في حديقة المتحف وهي كالاتي: 119 و 120 و 122، تتميز هذه التيجان بالشكل الأسطواني يتكون كل تاج من عصابة أسطوانية تعلوها ناتئة أفقية مسطحة منبسطة تفصل بينها وبين الحلية، كما يتكون التاج من جهتين للحلزونات ملتفة بثلاث دورات ولها قناة مقوسة تنزل لحد الحافة السفلى للحلية بالنسبة للتاجين 119 و 122 (الصورة 02)، أما التاج 120 له قناة مقوسة تصعد لحد الحافة العليا للحلية، يشغل مركز الحلية زخارف مختلفة وتتشكل حافة الوسادة من ناتنتين¹⁸. يعود تأريخها إلى القرن الرابع الميلادي حسب زخرفة الصليب والطغراء المجددة في التيجان.

ت. تيجان الدعامات:



يصل عددها إلى 04، نجد هذا النمط في المتحف الوطني للآثار القديمة في الجناح القديم-القاعة المسيحية التاجين 139 و 148، ونجده أيضا في متحف سيرتا الوطني التاج 168 في رواق الفسيفساء المثبتة على الحائط، والتاج 170 موجود في القاعة المسيحية. توضع هذه التيجان فوق العضادة أو دعامة مستطيلة أو مربعة مسطحة وبارزة¹⁹ وفوقها الكورنيش، وتكمن وظيفتها في تخفيف الثقل عن الدعامة وتحمل الطنف وما فوقها (الصورة 03)، يحمل التاج 139 على الجانبين زخارف وواجهته الأمامية تحمل ورقة حافتها مقلوبة نحو الأسفل ويؤرخ من نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن

الصورة 03: يمثل التاج 168، عن: قوشام، مريم، 2023م.

السادس الميلاديين، أما التاج 148 فهو يحمل في الواجهة الأمامية زخرفة بارزة يتميز بشكل شبه مستطيل إذ نلاحظ في جهته اليمنى بروز لحافة التاج بطريقة أفقية ممدودة قليلا يليها بالتوازي نصف قوس متجه نحو الأسفل، بالنسبة للتاج رقم 168 هو تاج ذو الطراز الكورنثي يتكون من صفين من أوراق الأكنثة ذات حواف مقلوبة للأسفل والصف الثالث يحتوي على زخرفة طغراء في المركز، يؤرخ هذا التاج والتاج 170 بالقرن الرابع الميلادي حسب زخرفة الصليب والطغراء.



الصورة 04: التاج 87، عن: قوشام، مريم، 2023م.

¹⁸- أونيس، ميلود، 2012م-2013م، ص. 173.

¹⁹- GINOUVES, R., 1992, p. 104.

ث. التيجان البسيطة:

عددها 03، نجدها في متحف موقع جميلة الأثري في الحديقة وهي كالاتي: 87 و 88 و 121، تتميز هذه التيجان بحجها الكبير نوعا ما عن التيجان التي ذكرناها سابقا، ومن ناحية مكوناتها فهي تحتوي على وسادة ذات جوانب ملساء في الأعلى وناثنتين أفقيتين ومسطحتين أو ناثنة فقط يليها حقل الكتابة محاط بإطار مستطيل وخطوط تفصل أسطر الكتابة²⁰، على حدي الإطار زخرفة هندسية وفي كل جانب للتاج توجد ورقة في المركز ذات حافة متجهة نحو الأسفل تعلوها زخرفة هندسية موضوعة على استقامة واحدة وعلى يمين ويسار الورقة توجد زخرفة نباتية أو هندسية، تستعمل هذه التيجان ككتف عقد لغرض تقليل ثقل العارضة التي تحملها (الصورة 04). يعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي.

4-2- الوصلات الحاملة:



الصورة 05: تمثل الوصلة الحاملة 135،

عن: قوشام، مريم، 2023م.

عددها 05، نجدها في المتحف الوطني للآثار القديمة، نجدها في المتحف الوطني للآثار القديمة، منها 04 موجودة في الجناح القديم في القاعة المسيحية وهي كالاتي: 135 و 136 و 137 و 138 و واحدة محفوظة في المخزن، بالنسبة للوصلات 135 و 137 و 138 فهي تتميز بزخرفتها بحيث نحت عليها ورقة أكنثة كبيرة في الجهة الأمامية للوصلات وحافتها متجهة للأسفل بطريقة مقلوبة وعلى جانبيها الأيمن والأيسر زخارف متنوعة، بالنسبة للوظيفة التي كانت تؤديها

غير محددة بالضبط وقد احتمل الباحث قزال أنه بالإمكان وجودها فوق الأعمدة أو العضادات أو كانت تزخرف الكوات²¹ (الصورة 05)، وتؤرخ هذه الوصلات من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن الخامس الميلادي حسب تأريخ البازيليكا، وبالمقارنة مع بازيليك تبسة²². أما الوصلتين 136 و 140 لم يتسنى لنا معرفة الوظيفة التي كانت تؤديها كل واحدة، ويعود تأريخهما وفق الزخرفة إلى نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الميلادي²³.

²⁰- MONCEAUX, P., 1913, p. 219.

²¹- GSELL, S., 1901, p. 158.

²²- حاجي، ياسين رابح، 2008م-2009م، ص. 222.

²³- نفسه، ص. 171.

4-3- القواعد:



عددها 05، منها 03 موجودة في المتحف الوطني للآثار القديمة في الجناح القديم-القاعة المسيحية وهي كالآتي: 134 و 149 و 150، ونجد أيضا في متحف سيرتا الوطني في الحديقة الإبيغرافية القاعدة 177 غير كاملة، ونجد كذلك القاعدة 82 في متحف موقع جميلة الأثري في القاعة الأولى. القواعد 82 و 134 و 149 و 150 ذات طراز أتيكي لها شكل بسيط وتتكون من وطيدة وطوقين منفصلين²⁴ (الصورة 06). تؤرخ هذه القواعد من النصف الثاني للقرن الرابع حتى القرن الخامس ميلاديين.

الصورة 06: تمثل القاعدة 134، عن:

قوشام، مريم، 2023م.

4-5- زخرفة عناصر الدراسة:

تتمثل زخرفة عناصر الدراسة التي وصل عددها إلى 26 عنصرا معماريا في مجموعة من المشاهد التي لها علاقة بالدين المسيحي، فكل عنصر معماري يحمل مشهد أو مجموعة من المشاهد والتي تتمثل في: المشاهد الهندسية، والنباتية، والحيوانية، والبيبلية، والمعمارية، ومشاهد الصليب والطغراء، نجد هذه المشاهد مجسدة إما في كل جهات عناصر الدراسة أو في جهتين أو في الجهة الأمامية فقط.

أ- المشاهد الهندسية:

نلاحظ أن المشاهد الهندسية مجسدة في أغلب العناصر المعمارية المدروسة، نجد زخرفة الدوائر البسيطة (الصورة 07، أ) والمتداخلة في كل من النمطين الأول والرابع للتيجان والقاعدة 134، ونجد كذلك الزخرفة الحلزونية (الصورة 07، ب) في نمط التيجان الأيونية وفي النمط الرابع من التيجان التاج "121"، كما نلاحظ أقواس متداخلة وأخرى على استقامة واحدة ومتتالية مجسدة على التيجان الكورنثية، وفي القاعدة 134 والتي تحمل أيضا زخرفة مثلثات قائمة.



الصورة 07: المشاهد الهندسية المجسدة في العناصر المعمارية، عن: قوشام،

مريم، 2023م.

²⁴- بن مسعود، ناصر، 2017م-2018م، ص. 455.

ب- المشاهد النباتية:

تتجسد الزخرفة النباتية بأنواعها المختلفة والتي نلاحظ بأنها مجسدة على العناصر المعمارية، حيث نجد زخرفة أوراق الأكنثة ذات حواف مقلوبة باتجاه الأسفل (الصورة 08، أ) وأزهار متعددة الفصوص في النمط الأول للتيجان المتمثل في التيجان الكورنثية ونجد زهرة اللوتس في مركز التاجين 149 و153، ونلاحظ أيضا ورقة الأكنثة ذات حافة مقلوبة مجسدة في النمط الثالث للتيجان في التاج 168، كذلك نجد هذه الزخرفة مجسدة في الوصلات الحاملة المكتشفة في البازيليكا الأولى لموقع مورسط بتبسة، ونجدها أيضا في نمط التيجان البسيطة. كما نجد في الوصلات الحاملة 135 و137 و138 أوراق العنب (الصورة 08، ب)، ونجد أيضا النخيل في كل من القواعد والتيجان الكورنثية نخلة يتدلى منها عراجين التمر (الصورة 08، ت).



الصورة 08: المشاهد النباتية المنجزة على العناصر المعمارية، عن: قوشام، مريم، 2023م.

ج. المشاهد الحيوانية:

نلاحظ من خلال ما هو مجسد على العناصر المعمارية أن تجسيد المشاهد الحيوانية ليس في كل العناصر، نجد طاووس (الصورة 09، أ) متجه نحو اليمين في الوصلة الحاملة 140، وفي النمط الأول للتيجان نلاحظ زخرفة سمكة في كل جانب للتاج 151 متجهة نحو الأسفل فمها يمسك بحافة ورقة أكنثة الصف الثاني، ونجد أيضا مشهد لحيوانين في حالة عراك هما النسر والثعبان في النمط الثالث للتيجان (الصورة 09، ب).



الصورة 09: تمثل المشاهد الحيوانية المنجزة على العناصر المعمارية، عن:

قوشام، مريم، 2023م.

د- مشاهد الصليب والطغراء:

أخذ تجسيد زخرفة الصليب والطغراء عدة أشكال، بالنسبة للصليب وأشكاله نجد كل من الصلبان البسيطة عبارة عن خطين متقاطعين ومتعامدين وصلبان على شكل وردة (الصورة 10، أ)، بالإضافة إلى صليب إغريقي بحرف الرو متجه نحو اليمين (الصورة 10، ب) ونفس الصليب معه الألفا والأوميغا (الصورة 10، ت)، و صليب إغريقي بحرف الرو متجه نحو اليسار مع الأوميغا (الصورة 10، ث). أما بالنسبة للطغراء نجد كل من طغراء قسطنطينوس بحرف الرو متجه نحو اليمين مع الألفا والأوميغا (الصورة 10، ج)، ونجد أيضا نفس الطغراء لكن بدون الحرفين الإغريقيين الألفا والأوميغا (الصورة 10، ح)، وتمثلت هذه المشاهد على الأنماط الأربعة للتيجان والقواعد.



الصورة 10: مشاهد الصليب والطغراء المنجزة على العناصر المعمارية، عن: قوشام، مريم، 2023م.



هـ- المشاهد البيبلية:

تتمثل في كأس الإفخارستية بقاعدة مستقيمة يخرج منها عناقيد العنب في الطرفين، نجدها في النمط الأول للتيجان وفي نمط الوصلات الحاملة (الصورة 11).

الصورة 11: يمثل كأس الإفخارستية باللون الغامق، عن: قوشام، مريم، 2023م.



و- المشاهد المعمارية:

تتمثل في زخرفة عمود ذو قاعدة وتاج نجدها في نمط
الوصلات الحاملة (الصورة 12).

الصورة 12: تمثل زخرفة عمود باللون الغامق،
عن: قوشام، مريم، 2023م.

5- تفسير رمزية المشاهد:

5-1- الرموز الهندسية: تتمثل في مجموعة من المشاهد وهي الدوائر منها البسيطة والمتداخلة وأقواس
متداخلة ومتتالية، بالإضافة إلى الزخرفة الحلزونية التي نجدها في الواجهة الأمامية للتيجان.

أ- الدائرة: كانت ترمز في الحضارات القديمة للإله²⁵، الشمس والقمر وتدل على انتماء الشخص للعالم
السمائي²⁶، أما في المعتقد المسيحي فهي ترمز إلى الأبدية والكمال والحفاظ على توازن الجسد والروح²⁷.
ب- المثلث: في العقيدة المسيحية يدل على الثالوث الأقدس: الأب، الابن وروح القدس²⁸.

5-2- الرموز النباتية: وتتمثل فيما يلي:

أ- الكرمة وعناقيد العنب: عرفت اهتماما كبيرا من طرف المسيحيين وكانت من بين أهم العناصر
المفضلة في الزخرفة المسيحية²⁹، ترمز للمسيح في الكتاب المقدس بقوله في إنجيل يوحنا: "أَنَا الْكَرْمَةُ
الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَامِ" (15: 1)، ويقول أيضا: "أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ" (15: 5)³⁰.

ب- النخيل: كان لها مكانة مهمة ولقيت اهتماما من طرف المسيحيين لأنها تعد من بين رموز رؤيا
القديس يوحنا، وتدل على انتصار الصديقين كون النخلة تنبت في المشرق العربي مهد الديانة
المسيحية³¹. ترمز النخلة في الكتاب المقدس إلى الانتصار، عندما دخل يسوع أورشليم حمل الناس سعف
النخيل وخرجوا للقائه، يشير سفر الرؤيا إليها لوصف انتصار القديسين في السماء³².

²⁵- L'ABBE, A., 1884, p. 521.

²⁶- GERARD, B-H., 2009, p. 73.

²⁷- جاما، كاتيا، 2017م-2018م، ص. 86.

²⁸- فورالي، حميدة، 2016م، ص. 179.

²⁹- فورالي، حميدة، 2011م-2012م، ص. 282.

³⁰- إنجيل يوحنا 15: 1، 15: 5.

³¹- فورالي، حميدة، 2016م، ص. 181.

³²- GERARD, B-H., 2009, pp. 98, 100.

5-3- الرموز الحيوانية: أغلبها مستوحاة ومذكورة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وتتمثل فيما يلي:

أ- الطاووس: اتخذ القديس أوغسطينوس الطاووس شعارا للخلود كون لحمه لا يفسد³³، نجد مشهد الطاووس متجه نحو اليمين في الوصلة الحاملة 140.

ب- النسر: يعبر النسر في الكتاب المقدس عن الكائنات السماوية بسبب تحليقه السريع، تم تشبيهه في سفر التثنية بالرب وحكمة يسوع³⁴، "كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عَشَّةً وَعَلَى فِرَاحِهِ يَرَفُ، وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاقِبِهِ، هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَدَاهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ أُجْنَبِي" (32: 11-12)³⁵، وفي سفر المزامير يرمز النسر لإحياء النفس من جديد بحيث يجدد ريشه في كل فصل: "الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكَ، فَيَتَجَدَّدُ مِثْلَ النَّسْرِ شَبَابُكَ" (103: 5)³⁶.

ت. الثعбан: يرمز عند الوثنيين لإله الطب والشفاء ايسكولابيوس ممثلا بعصا يلتف حولها الثعبان، كونه يغير ويجدد جلده ويكسب حياة جديدة، أما عند المسيحيين فقد ذكر على أساس تين ويرمز للخداع والحيلة والشیطان³⁷.

ث. السمك: نجد تجسيد مشهد السمك منتشر بكثرة في الفترة المسيحية بحيث نجدها بجانب الصليبان والحمام وجذوع النخل وغصون الزيتون، فهي ترمز ليسوع من خلال العبارة الإغريقية Iesus Christos Theou Uios Soter التي تعني "عيسى المسيح ابن الله المخلص" ومجموع الحروف الأولى من هذه الكلمات اليونانية يشكل اللفظ اليوناني I-Ch-Th-U-S ومعناه السمكة³⁸.

5-4- رموز الصليب والطغراء: تخص مشاهد الصليب والطغراء بكل أنواعها وأشكالها.

أ. الصليب: يعد الصليب شعار المسيحيين المجيد واستخدمه المؤمنون في حياتهم الخاصة، كما استخدم الصليب كزخرفة في المباني الدينية المسيحية وفي حال انتصار الأباطرة يضعون علامة الصليب في أعلى تيجانهم كإشارة لانتصارهم وقوتهم، وقال ترتليانوس عن الصليب: "كان المسيحيون يرسمون إشارة الصليب في كل خطوة من خطواتهم، في دخولهم وخروجهم، عند لباسهم ومأكلهم، في ساعة نومهم وقيامهم، في بداية أي عمل نحمي أنفسنا بإشارة الصليب"³⁹.

ب. الطغراء: يسمى هذا النوع من الطغراء بالمونوغرام القسطنطيني نسبة إلى الإمبراطور قسطنطينوس، قبل خوضه لمعركة جسر ملفيوس ضد الإمبراطور ماكسنتيوس رأى في المنام علامة مكونة من الحرفين

³³- Ibid., pp. 113-114.

³⁴- Ibid., p. 116.

³⁵- سفر التثنية 32: 11-12.

³⁶- المزامير، المزمور 103: 5.

³⁷- GERARD, B-H., 2009, p. 103.

³⁸- أسد، رستم، 2017م، ص. 43.

³⁹- فريرا، روموالدوفرناندس، 2004م، ص. 60.

(chi)X و (rho) P إلى جانبها عبارة "بهذا الرمز ستتتصر"، ومن المنام أصبح هذا الرمز يجسد على الرايات وأسلحة جنود قسطنطينوس، وهما الحرفين الأولين من اسم المسيح بالإغريقية ΧΡΕΙΣΤΟΣ واستخدمه المسيحيون للإشارة إلى المسيح وإيمانهم به⁴⁰، نجد مع الطغراء الألفا الحرف الأول من الأحرف اليونانية والأوميغا الحرف الأخير من الأحرف اليونانية يرمزان ليسوع كما قال في رؤيا يوحنا " أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية" (1: 8)⁴¹.

5-5- الرموز البيبلية: تتمثل في المشاهدة الدينية المرتبطة بالكتاب المقدس وهي كالاتي:

أ- كأس الإفخارستية: لها معنى إفخارستي في الكتاب المقدس تعبر عن الكلمات التي قالها المسيح في العشاء الأخير، كما ترمز أيضا إلى الخبز والنبذ وهي الغذاء السري الذي يغذي المسيحيين في رحلتهم نحو السماء، وتعتبر مائدة الإفخارستية كقربان مقدس في الدين المسيحي⁴². حسب ما ورد في إنجيل متى "عشاء الرب": "وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُّوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَاسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الدِّي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (26: 26-28)⁴³.

5-6- الرموز المعمارية: وهي كالاتي:

أ. عمود ذو قاعدة وتاج: ورد كدلالة رمزية للعالمين الوثني والمسيحي⁴⁴.

الخاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها حول اللقى الأثرية المتمثلة في العناصر المعمارية، نستنتج أن بعض هذه العناصر اكتشفت في مباني دينية مسيحية وهي البازيليكات المسيحية كالعناصر المعروضة في المتحف الوطني للآثار القديمة والتي اكتشفت في بازيليك هنشير أخريب وهنشير زرارة، والبازيليك الأولى بموقع مورسط، والقاعدة المعروضة في متحف موقع جميلة الأثري المكتشفة في البازيليك الجنوبية المسماة ببازيليك كريسكونيوس نسبة إلى الأسقف "كريسكونيوس".

كما لدينا بعض العناصر المكتشفة في موقع جميلة الأثري، والمعروضة في حديقة المتحف بالإضافة إلى تلك المعروضة في متحف سيرتا الوطني، ما يؤكد لنا أنها اكتشفت في مباني دينية مسيحية، وتتمثل

⁴⁰- فريزا، روموالدوفرناندس، 2004م، ص. ص. 85-86.

⁴¹- رؤيا يوحنا 1: 8.

⁴²- GERARD, B-H., 2009, pp. 201-202.

⁴³- إنجيل متى 26: 26-28.

⁴⁴- فورالي، حميدة، 2011م-2012م، ص. 283.

في زخرفة الصليب والطغراء التي تحملها العناصر، بالإضافة إلى الكتابات البيبلية التي تحملها التيجان: 87 و 88 و 121.

كما تمكنا من حصر وتحديد الفترة الزمنية التي تعود إليها العناصر المعمارية من خلال ما توفر لنا من معطيات، فأقدم عنصر يعود إلى القرن الرابع الميلادي، والأحدث يعود إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي، بمعنى أن عناصر الدراسة تعود إلى ثلاث فترات زمنية وهي: الفترة الأولى تتمثل في الفترة الرومانية-المسيحية التي يمكن تسميتها بالفترة ما قبل الوندالية، والفترة الثانية هي الفترة الوندالية التي بدأت في النصف الأول من القرن الخامس ميلادي حوالي 429م، والفترة الأخيرة هي الفترة البيزنطية التي بدأت في النصف الأول من القرن السادس ميلادي حوالي 533م.

وما يمكن قوله أيضا هو أن العناصر المعمارية أدت وظيفة مزدوجة، في المبنى سواء كالتاج أو قاعدة أو غيرها أدت وظيفتها المعمارية، وفي نفس الوقت كانت تحمل مشاهد مرتبطة بالدين المسيحي. فمن ناحية المظهر الخارجي لها كانت تعطي مظهر جمالي زخرفي يزيد من المبنى جمالا، ومن ناحية المظهر الباطني المخفي لها، فهو يروي لنا قصة واقعية حدثت في حياة المسيحيين القدماء وعبروا عنها باستخدام الرمز. فبالتالي استخدمت الرموز لغاية وهي الدعوة إلى الدين المسيحي، ونشره، والتعريف بتعاليمه حسب ما جاء في الكتاب المقدس.

قائمة البيبليوغرافيا:

1. الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد.
2. أسد، رستم، 2017م، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، هنداوي.
3. أونيس، ميلود، 2012-2013م، تيجان مدينة جميلة "كويكول" - دراسة حول الزخرفة المعمارية -، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزء الأول.
4. بن مسعود، ناصر، 2017-2018م، العمارة العمومية بالمقاطعة النوميديّة الرومانية، "دراسة أثرية تحليلية لعمارة المنشآت العمومية بمدن المقاطعة النوميديّة الرومانية"، رسالة دكتوراه علوم في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزء الأول.
5. جاما، كاتيا، 2017-2018م، الزخرفة المسيحية على المعالم الأثرية في مقاطعة نوميديا، دراسة زخرفية وإكنوغرافية، رسالة دكتوراه في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.

6. حاجي، ياسين رابح، 2008-2009م، البازيليكا المسيحية في مقاطعة نوميديا، دراسة أثرية تنميطية، أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
7. فريرا، رومالدو فرناندس، 2004م، رموز مسيحية في سوريا القديمة، الكسليك- لبنان.
8. فورالي، حميدة، 2011-2012م، جرد المصابيح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
9. فورالي، حميدة، 2016م، "زخرفة المصابيح المسيحية القديمة في نوميديا"، في مجلة الآثار، 15.
10. قوشام، مريم، 2022-2023م، الرمزية المسيحية القديمة من خلال اللقى الأثرية المعروضة في المتاحف الوطنية ومتاحف المواقع الأثرية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
11. AUBER, C. A., 1884, Histoire et théorie du symbolisme religieux avant et depuis le christianisme, 04, Paris.
12. BALLU, A., 1914, « Rapport sur les fouilles exécutées en 1913 par le service des monuments historiques de l'Algérie », in BCTH, pp, 270-329.
13. BERTHIER, A. ; LOGEART, F. ; MARTIN, M., 1942, Les vestiges du christianisme antique dans la Numidie centrale, Alger.
14. FEVRIER, P-A., 1962-1965, « Inscriptions chrétiennes de Djemila (Cuicul) », in BAA, 01, pp. 207-226.
15. GERARD, B-H., 2009, Les symboles du christianisme ancien Ier- VIIe siècle, Cerf.
16. GINOUVES, R., 1992, Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine, II. Eléments constructifs : supports, couvertures, aménagements intérieurs, Ecole française de Rome.
17. GSELL, S., 1901, « Note sur quatre consoles chrétiennes trouvées à Morsott », in BCTH, pp. 158-161.
18. GSELL, S., 1901, Les monuments antiques de l'Algérie, 02, Paris.
19. LANCEL, S., 2003, L'Algérie antique, de Massinissa à Saint Augustin, Paris.
20. MONCEAUX, P., 1913, « Inscriptions chrétiennes d'Algérie découvertes à Djemila », in CRAI, 57^{ème} année, 4, pp. 219-222.